



المملكة العربية السعودية
الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ببريدة
معهد الفتيات للقرآن الكريم
الدبلوم العالي

العناية الربانية بالنبي ﷺ في ضوء سورة الضحى

إعداد الطالبة:

آلاء بنت محمد الربيعة

إشراف:

أ. عبير الشبرمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استهلال

لا تخلو الحياة من أوقاتٍ تُحيط فيها المَهمومُ بالإنسان من كلِّ جانب، وتَتَّبَعُ عليه الشدائد، حتى لتضيق عليه الأرضُ بما رَحَبَتْ، بل إن نفسه التي بين جَنَبَيْهِ قد تتأبَى عليه.

تلك حقيقة مُقَرَّرَةٌ بالتجربة والمشاهدة، والتجربةُ والمشاهدةُ في كثير من الأحيان أصدقُ أنباء من الكُتُب، وحيثُ إنَّ الإنسانُ مُحتاجٌ إلى مَنْ يبيِّنه شعاعاً من الأمل، ويفتح له باباً من الرجاء، ويدله على الطاقات الكامنة فيه، فما أتعسَ النفسَ حين يصيبها اليأس والضجر!

وسورة الضحى هي - بحقٍ - لَمْسَةٌ حانية على القلوب البائسة، والنفوس الحائرة، ودفقة من الأمل في أن عَوْنُ اللَّهِ ورعايته لا يتخَلَّفان عن عباده المؤمنين الصادقين؛ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

شكر وتقدير

امثالاً لقوله تعالى: ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، واقتداءً بقول الرسول ﷺ: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)^(١)، فإنني أولاً أحمد ربي حمداً كثيراً طيباً مباركاً أن منّ عليّ بإتمام هذا البحث، ويسره لي، فالحمد والشكر كله له تعالى وحده.

أتقدم بأخلص معاني العرفان إلى من كلَّه الله بالهبة والوقار، إلى من علمني العطاء دون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، ها هو الله قد مدّ في عمرك لتري ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار، وستبقى كلماتك بنجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد، إلى والدي العزيز: د. محمد بن عبد الله الربيعه.

وأردف هذا بأخلص الدعاء إلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب، وإلى معنى الحنان والتفاني، إلى بسمه الحياة، وسر الوجود، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي، وحنانها بلسم جراحي، إلى والدي الغالية: رفايع بنت عبد الرحمن الشبل.

كما أتقدم بأسمى معاني الشكر والعرفان لأستاذتي الفاضلة، ومشرفتي القديرة، سعادة الأستاذة: عبير الشبرمي.

والتي تفضلت بالإشراف على هذا البحث، وجسدت لي بذلك أفضل صور الإخلاص، والصدق في العمل، والتي فتحت لي قلبها وأصغت إليّ أذنيها وبذلت معي الكثير من الوقت والجهد، وأسدت إليّ أصدق التوجيهات، والآراء السديدة، التي كان لها أكبر الأثر في الوصول بالبحث إلى صورته الحالية، فجزاها الله خير الجزاء، وجعل عملها هذا في ميزان حسناتها.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى أصحاب القلوب الطيبة، والنوايا الصادقة، إلى من رفع من همتي، وشدّ من أزرعي، إلى إخواني جميعاً، وكذلك إلى الإخوان الذين لم تلدهم أمي، إلى من تحلّوا بالإخاء، وتميزوا بالوفاء، إلى من معهم سعدت، وبرفقتهم في دروب الحياة سرت، إلى من عرفت كيف أجدهم، وعلموني ألا أضيعهم، إلى إخواني ورفقاء دربي.

^(١) رواه الترمذي في البر والصلة: باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك: ج ٣، ص ٤٠٣، رقم (١٩٥٤).

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وفي الختام أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من رفع الله يداً، ودعا لي بالتوفيق وإكمال البحث، وإلى كل من قدم لي عوناً أو توجيهاً، وإلى كل من تمنى لي السير في درب العلم وأهله، وحثني على ذلك.

كما وأشكر معهد الفتيات للقرآن الكريم، والذي أتاح لي الفرصة لإتمام دراستي، سائلة الله تعالى أن يجزيهم عنّا خير الجزاء ويجعل ما قدموا في ميزان حسناتهم.

الباحثة / آلاء بنت محمد الربيعة

إهداء

إلى من جعل شكرهما من شكره حل وعلا، وطاعتهما من طاعته تعالى عن الوصف وسما، أمرنا ببرهما حال حياتهما، والدعاء لهما بعد موتهما.

إلى اللدّين بدلا النفس والنفيس لأجلي صغيراً يافعاً وشاباً وكبيراً.

إلى والديّ الأعزّين /

أسأل الله تبارك وتعالى أن يثقل بهذا العمل موازينهما، وأن يُعلي بفضله ومنتته مكانتهما.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد:

فإن الله تعالى أنزل القرآن الكريم على محمد وجعله نوراً وهدى. وقد كانت مسيرته الدعوية حافلة بالأحداث والمواقف التي يلقاها من قومه، فيتنزل القرآن في تأييده وتسليته وتثييته، وكان من أعظم تلك الأحداث ما لقيه من سخيرية من صنديد قريش حين انقطع عنه الوحي فترة فقالوا ما نرى ريك إلا قد قلاك، فكان من عناية الله به أن أنزل عليه سورة الضحى، هذه السورة التي تشع نوراً وتفاؤلاً ووعداً كريماً من الله لنبيه بما سيناله من العناية الربانية.

أستعين فيها بالله تعالى وأستجدي عونه ومدده وتوفيقه، فإن كان الإحسان، فمنه الفضل وله الحمد والشكر والثناء الجميل، وإن كان التقصير - وهو دأب من لم يعصم من البشر - فمن ضعف القاصر والله الغافر، وأسأل الله تعالى أن يهبني إخلاص النية والعمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به غيري، وأن يمنحني فيه التوفيق والرشد والسداد، إنه تعالى خير مسئول وأكرم مأمول. وصلى الله على نبينا محمد.

أهمية البحث:

لهذا الموضوع أهمية كبيرة من خلال ما يلي:

- ١- تعلقه بكتاب الله تعلقاً مباشراً.
- ٢- أن من أهم مقاصد القرآن العناية الربانية بالنبي ﷺ.
- ٣- أن سورة الضحى من السور التي يقرؤها الناس كثيراً، فهي جديرة بالبحث.

أسباب اختيار الموضوع:

وقد أحببت أن أعيش مع هذه السورة الكريمة في موضوعها الأساس وهو العناية الربانية بالنبي ﷺ، فعرضت الموضوع على أستاذتي القديرة عبير الشبرمي فأيدتني، وقد كانت أصل الفكرة نقاشاً مع والدي حفظه الله حيث أيدني في ذلك.

أهداف البحث:

- ١- إبراز العناية الربانية بالنبي ﷺ.
- ٢- تجلية منزلة النبي محمد ﷺ ومكانته، من خلال القرآن الكريم، وذلك بشرح وبيان الآيات الواردة في هذا الموضوع من خلال الزاد والتراث التفسيري العظيم.
- ٣- إبراز المعاني التدبرية في سورة الضحى.
- ٤- أن أعيش مع كتاب الله تعالى تدبراً ومجتأً.

منهج البحث:

- ١- جمع قول أشهر المفسرين في تفسير السورة.
- ٢- استقراء ما ورد في التفاسير والبحوث حول مقاصد السورة للاعتماد عليه في البحث.
- ٣- التركيز على الجوانب التي تبرز الموضوع.

ولقد اتخذت المنهج السردى التاريخي لي منهجاً، إذ هو المنهج المتبع في العلوم النظرية غالباً، وقد أضطر إلى المنهج الوصفي والاستنباطي أحياناً.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات، ثم الفهارس العلمية للبحث وهي على النحو التالي:

الفصل الأول: بصيرة في: (سورة الضحى):

يتضمن ثلاث مباحث:

المبحث الأول: نزول السورة

المبحث الثاني: أسماء السورة، مقصدها، وموضوعاتها

الفصل الثاني: الدراسة التحليلية للسورة:

ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: الدراسة التحليلية للآية الأولى والثانية

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية للآيات من ٣-٥

المبحث الثالث: الدراسة التحليلية للآيات من ٦-٨

المبحث الرابع: الدراسة التحليلية للآيات من ٩-١١

الفصل الثالث: الدراسة الموضوعية: مظاهر العناية الربانية بالنبي ﷺ

ويتضمن ثلاث مباحث وست مطالب:

المبحث الأول: مظاهر العناية الربانية بالنبي محمد ﷺ في بداية نشأته وقبل البعثة:

المطلب الأول: الإرهاصات التي وقعت عند ميلاده ﷺ.

المطلب الثاني: حادثة شق الصدر (الأولى) في ديار بني سعد.

المبحث الثاني: مظاهر العناية الربانية في العهد المكي وفي التأيد بالرسالة:

المطلب الأول: الرؤيا الصادقة وبدء نزول الوحي:

المطلب الثاني: تأييد النبي ﷺ بالمعجزات الحسية:

المطلب الثالث: الإسراء والمعراج:

المطلب الرابع: عناية الله عز وجل بنبيه ﷺ أثناء الهجرة:

المبحث الثالث: مظاهر العناية الربانية بالنبي محمد ﷺ في تفضيله بالعطايا والنعيم.

الخاتمة.

الفهارس.

الفصل الأول: بصيرة في: (سورة الضحى):

يتضمن مبحثين:

المبحث الأول: نزول السورة

المبحث الثاني: أسماء السورة، مقصدها، وموضوعاتها

المبحث الأول: نزول سورة الضحى:

سورة الضحى مكية. بلا خلاف، وعدد آياتها: إحدى عشرة آية، وترتيبها بين السور: السورة الثالثة والتسعون.

مما يعين على فهم الآيات المنزلة على رسوله الأمين ﷺ، معرفة سبب نزول الآيات الكرمات، فالعلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، كما قال شيخ الإسلام^(١) -رحمه الله تعالى- في مقدمة التفسير^(٢).

كان جبريل -عليه السلام- قد أبطأ بالوحي على النبي ﷺ في بداية الرسالة؛ لسببٍ اختلفت فيه الروايات، فأصاب النبي ﷺ من ذلك حزنٌ شديد، وساءه أن ينقطع عنه -ولو قليلاً- النور الذي يربطه بالملأ الأعلى.

وما أن علم كفار مكة بفُتور الوحي عن النبي ﷺ حتى انطلقت ألسنتهم بالشائعات: إن محمداً قلاه ربه، وتخلّى عنه، ورأوا في ذلك فُرصةً ليُكثّفوا حملاتهم الدعائية الكاذبة؛ لعلها تفتت في عَضُد المسلمين، وتَصْرِف عنهم مَنْ يفكرون في الدخول في الإسلام^(٣).

وَلَمْ تَكُنْ شَائِعَاتِ الْكُفَّارِ لُتْخِزِنَ النَّبِيَّ ﷺ مِثْلَمَا أَحْزَنَهُ فُتُورُ الْوَحْيِ، فَقَدْ كَانَ الْوَحْيُ سُلُوَاهُ فِي مُوَاجَهَةِ الْمِحْنِ؛ وكما يقول الأستاذ سيد قطب^(٤) في "ظلاله"، فإن: "الوحي ولقاء جبريل والاتصال بالله كانت هي زاد الرسول ﷺ في مشقّة الطريق، وسُقْيَاهُ فِي هَجِيرِ الْجُحُودِ، وَرُوحَهُ فِي لَأْوَاءِ التَّكْذِيبِ، وَكَانَ ﷺ يَجِيءُ بِهَا فِي هَذِهِ الْمَاهِجَةِ الْمَحْرِقَةِ، الَّتِي يِعَانِيهَا فِي النُّفُوسِ النَّافِرَةِ الشَّارِدَةِ الْعَصِيَّةِ الْعَنِيدَةِ، وَيَعَانِيهَا فِي الْمَكْرِ وَالْكِيدِ وَالْأَذَى الْمَصْبُوبِ عَلَى الدَّعْوَةِ، وَعَلَى الْإِيمَانِ، وَعَلَى الْهُدَى مِنْ طَعَاةِ الْمُشْرِكِينَ.

(١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٦٦١-٧٢٨هـ، ١٢٦٣-١٣٢٨م)، شيخ الإسلام في زمانه وأبرز علمائه، فقيه أصولي ومفتي الدين الحنيف وصاحب الآثار الكبرى في علوم الدين والفكر الإسلامي. ولد بجران بتركيا، ورحل إلى دمشق مع أسرته هرباً من غزو التتار. وتلقى العلم على والده وعلى مشايخ دمشق وظهرت عليه علامات النجابة منذ نعومة أظفاره، فكان قوي الذاكرة سريع الحفظ. نهل من منهج النبوة، حتى آلت إليه الإمامة في العلم والعمل سنة ٧٢٠ هـ. كان ابن تيمية صالحاً مصلحاً داعياً إلى الإصلاح والعودة إلى القرآن والسنة، وكان ذا باع طويل في اللغة العربية وعلومها، وفي مختلف العلوم. تروى مصنفاته على ثلاثمائة مجلد في علوم الإسلام المختلفة.

(٢) مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أحمد بن عبد الحلّيم، ص ٤٧.

(٣) انظر: مقال: هدايات سورة الضحى، سعيد بن محمد آل ثابت، شبكة الألوكة، <http://www.alukah.net/library/0/63934/>.

(٤) سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (١٣٢٤-١٣٨٥ هـ، ١٩٠٦-١٩٦٦م)، أديب ومفكر إسلامي مصري، ولد بقرية موشة بمحافظة أسيوط في صعيد مصر وبها تلقى تعليمه الأولي وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بمدرسة المعلمين الأولية (عبد العزيز) بالقاهرة، ونال شهادتها والتحق بدار العلوم وتخرج عام ١٣٥٢ هـ، ١٩٣٣م. عمل بوزارة المعارف بوظائف تربوية وإدارية، وابتعثته الوزارة إلى أمريكا لمدة عامين وعاد عام ١٣٧٠ هـ، ١٩٥٠م. انضم إلى حزب الوفد المصري لسنوات وتركه على أثر خلاف عام ١٣٦١ هـ، ١٩٤٢م. وفي عام ١٣٧٠ هـ، ١٩٥٠م انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين وحوكم بتهمة التآمر على نظام الحكم وصدر الحكم بإعدامه، وأعدم عام ١٣٨٥ هـ، ١٩٦٦م.

فلما فتر الوحي انقطع عنه الزاد، وأُنْحَسَ عنه اليَنْبُوعُ، واستوحش قلبه من الحبيب، وبقي للهاجرة وحده، بلا زاد وبلا ري، وبغير ما اعتاد من رائحة الحبيب الودود، وهو أمرٌ أشد من الاحتمال من جميع الوجوه، عندئذ نزل هذا الفيض من الود والحب، والرحمة والإيناس، والقربى والأمل، والرضا والطمأنينة واليقين" (١).

ففي هذه الحال الدائرة بين ترقُّبِ نزول الوحي، وبين الحزن لما يُبْتُ من أقاويل وافتراءات، نزلت سورة (الضحى).

فمن أصح ما ورد في سبب نزولها:

ما رواه الشيخان عن جُنْدَبِ الْبَجَلِيِّ قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يَقم ليلتين أو ثلاثاً، فأتته امرأةٌ فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم يقربك ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله: ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [الضحى: ١-٣] (٢).

(١) ص ٣٩٢٥.

(٢) رواه البخاري في تفسير القرآن: باب (ما ودعك ربك وما قلى): ج ٦، ص ١٧٢، رقم (٤٩٥٠).

المبحث الثاني: أسماء السورة، مقصدها، وموضوعاتها:

أسماء سورة الضحى:

سميت هذه السورة في أكثر المصاحف وفي كثير من كتب التفسير وفي (جامع الترمذي) (سورة الضحى) بدون واو.

وسميت في كثير من التفاسير وفي (صحيح البخاري) (سورة والضحى) بإثبات الواو. ولم يبلغنا عن الصحابة خبر صحيح في تسميتها^(١).

مقصدها:

يعرف مقصد السورة، بأنه: مغزى السورة الذي ترجع إليه معان السورة ومضمونها، ويمثل روحها الذي يسري في جميع أجزائها^(٢).

فمقصدها أنها تركّز على رعاية الله لنبيه والامتنان عليه بنعمة الوحي ودوامها له، وتأنيساً له، وتذكيراً للمؤمنين بالشكر^(٣).

ومن مقصدها أيضاً إبطال قول المشركين إذ زعموا أن ما يأتي من الوحي للنبي ﷺ قد انقطع عنه.

وزاده بشارة بأن الآخرة خير له من الأولى على معينين في الآخرة والأولى، وأنه سيعطيه ربه ما فيه رضاه، وذلك يغيظ المشركين.

ثم ذكره الله بما حفه به من اللطافة وعنايته في صباه، وفي فتوه، وفي وقت اكتهاله، وأمره بالشكر على تلك النعم بما يناسبها من نفع لعبيده، وثناء على الله بما هو أهله^(٤).

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ص ٣٩٣.

(٢) مقاصد السور القرآنية، د. محمد الحضيري، ملتقى أهل التفسير، <https://vb.tafsir.net/tafsir/20436/#.WhWMaFUjTDD>

(٣) المختصر في التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص ٥٩٦.

(٤) محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مرجع سابق، ص ٣٩٤.

الفصل الثاني: الدراسة التحليلية للسورة:

ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: الدراسة التحليلية للآية الأولى والثانية

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية للآيات من ٣-٥

المبحث الثالث: الدراسة التحليلية للآيات من ٦-٨

المبحث الرابع: الدراسة التحليلية للآيات من ٩-١١

مقاطع السورة:

المقسم به: ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾.

جواب القسم: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى * وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾.

أدلة جواب القسم: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾.

ما يترتب على ما سبق: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾.

المبحث الأول: الدراسة التحليلية للآية الأولى والثانية:

﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾.

معنى الآيتين:

{ وَالضُّحَى } : أقسم ربنا جل ثناؤه بالضحى وهو النهار كله، ومنه قوله - تعالى - : ﴿ وَأَنْتَ لَا تَظُنُّمُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ [طه: ١١٩]. أي: لا يصيبك فيها الشمس، وقيل: غني به وقت الضحى^(١)، ولمقابلته قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ [الضحى: ٢] ^(٢).

{ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى } : اختلف أهل التأويل في تأويله. فقال بعضهم: معناه والليل إذا أقبل بظلامه، وقال آخرون: بل معنى ذلك إذا ذهب، وقال آخرون: معناه إذا استوى وسكن^(٣).

مناسبة القسم بالضحى والليل:

أقسم - تعالى - بالضحى والليل هنا فقط لمناسبتهما للمقسم عليه؛ لأنهما طرفا الزمن وظرف الحركة والسكون، فإنه يقول له مؤنساً: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ لا في ليل ولا في نهار^(٤).

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ج ٢٤، ص ٤٨٢.

(٢) اللباب في تأويل الكتاب، سراج الدين عمر بن علي الدمشقي النعماني، ج ٢٠، ص ٣٨٠.

(٣) محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ص ٤٨٢ - ٤٨٤.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ج ٨، ص ٥٥٤.

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية للآيات من ٣-٥:

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَا آخِرَهُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾.

معنى الآية:

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾:

﴿ مَا وَدَّعَكَ ﴾: ترجّحت قراءة الجمهور بالتشديد من "ودّعك" من التوديع، فالموادعة والوداع، تكون مع المودة والصلّة، أما (ودّع) بمعنى: ترك، فيها شدة وجفوة وقطيعة، وهذا لا يليق بمقام المصطفى ﷺ عند ربه، والذي يظهر من لطيف الخطاب ورقيق الإيناس ومداخل اللطف، أن الموادعة تُشعر بالوفاء والود، فأبرزت فيها كاف الخطاب، أي: لم تتأتّ موادعتك وأنت الحبيب، والمصطفى المقرب^(١).

وقد ذكر ابن سعدي في تفسيرها: أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ رباك ورعاك، بل لم يزل يرييك أحسن تربية، ويعليك درجة بعد درجة^(٢).

﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴾ وقد حُذف ضمير قلاك إيجازاً ولمراعاة التناظر^(٣)، أي: ما أبغضك منذ أحبك، فإنّ نفي الضد دليل على ثبوت ضده، والنفي المحض لا يكون مدحاً، إلا إذا تضمن ثبوت كمال، فهذه حال الرسول ﷺ الماضية والحاضرة، أكمل حال وأتمها، محبة الله له واستمرارها وترقيته في درج الكمال، ودوام اعتناء الله به^(٤).

في ظلال الآية:

قد تَضَيَّقَ عليك الدنيا، وربما يزدريك أهلها، ويحصل لك من الشقاء والحفاء والعناء، ويبرز هذا المعنى في الذي نذر نفسه لله داعياً ولدينه مناصراً، وعلى منهجه سائراً، فهو يستشعر معية الله معه، ونُصرت له، وخيريته فيما اختار الله له. ويعلم أن التمكين من لوازمه البلاء والضّر، ولا يَسْخَطُ ويتصرّم ويشكو الله - عافانا الله - بل صَبْرٌ وتفاؤل، ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾، تنزل على محمد ﷺ لتكون له بلسماً، وللدعاة والماضين على طريقته عزاءً، ولا شك أن الخلق برمتهم لو تركوك وقلوك، لم يكن ذلك عندك شيء مع معية الله لك، وتأييده الحق الذي معك، إنها بشارة

(١) انظر: محمد الأمين الشنقيطي، مرجع سابق، ج ٨، ص ٥٥٤-٥٥٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٠٩٥.

(٣) معارج التفكير ودقائق التدبير، عبد الرحمن بن حسن بن حنكة الميداني، ج ١، ص ٥٦٠-٥٦١.

(٤) عبد الرحمن السعدي، مرجع سابق، ص ١٠٩٥.

للنبي ﷺ ولمن تبعه من العلماء والدعاة؛ أنه - سبحانه - لم يودّع نبيّه، كما يزعم المشركون، بل هو معه يؤيّده ويُنصره ويُبَيِّنُه، وهو يحبه ولا يُبغضه، بل يُدنيه إليه ويُعطيه، كيف يُبغض من ينادي بالتوحيد، ويدعو إلى صراطه المستقيم، ويُقارع الشرك والظالمين؟! كيف يقلي ويترك الربُّ الرحيم دُعَايَه وأنصَارَه حتى تتخطَّفهم الشياطين، وهم ملتزمون بنهجه، مُكثِّرون من ذِكره، تلهج ألسنتهم بالاستغفار والدعاء والترتيل لآيات القرآن؟ لم يودّع الله أنبياءه ورسله ويقلِّبهم ويتركهم، فهذا نوح لما استنصره نصره، وقوم هود وصالح وشعيب ماذا فعل الله بهم؟ ولم يودّع الله إبراهيم - عليه السلام - لما ألقى في النار، ولم يودّع يونس لما كان في بطن الحوت^(١).

{وَلَا آخِرَةَ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى }

معنى الآية:

إن مستقبل حياتك خيرٌ لك من ماضيها، وإنك تزداد عزًّا ورفعةً كل يوم، ولعاقبة أمرك خيرٌ من بدايته؛ وقيل: إن المعنى هو أن الدار الآخرة خيرٌ لك من هذه الدار الدنيا؛ قال ابن سعدي: كل حالة مُتَأَخِّرَةٌ من أحوالك، فإن لها الفضل على الحالة السابقة^(٢).

قال ابن كثير^(٣): والدار الآخرة خير لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهى الناس في الدنيا، ولما خيَّرَ ﷺ آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة، وبين الصيرورة إلى الله ﷻ اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية^(٤).

في ظلال الآية:

إن عادة البدايات تكون إرهابًا للنهايات، والبدايات المحرقة تؤدي لنهايات مُشرقة، قال شيخ الإسلام: "والاعتبار بكمال النهاية لا بما جرى في البداية، والأعمال بخواتيمها، والله تعالى خلق الإنسان، وأخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئًا، ثم علّمه فنقله من حال النقص إلى حال الكمال، فلا يجوز أن يُعتَبَر قَدْر الإنسان بما وقع منه قبل حال الكمال، بل الاعتبار بحال كماله"^(٥)، وهذا معنى عظيم ومفهوم عميق.

(١) وقفات تربوية مع مرحلة الدعوة المكية، طه بأفضل، ص ٣٦١-٣٦٣.

(٢) عبد الرحمن السعدي، مرجع سابق، ص ١٠٩٥.

(٣) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ولد في البصرة، ثم رحل إلى دمشق مع أخيه سنة ٧٠٦ هـ بعد وفاة أبيه، وكان ابن كثير من بيت علم وأدب، وتلمذ على كبار علماء عصره، فنشأ عالماً محققاً متقناً، وكان غزير العلم واسع الاطلاع إماماً في التفسير والحديث والتاريخ، ترك مؤلفات كثيرة قيمة أبرزها البداية والنهاية في التاريخ، توفي بعد أن كُفِّ بصره، ودفن في دمشق (٧٧٤-٧٠٠) هـ.

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ج ٨، ص ٤٢٥.

(٥) مجموع الفتوى، أحمد ابن تيمية، ج ١٠، ص ٢٩٩.

{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ}

معنى الآية:

يحتمل وجهين: أحدهما يعطيك النصر في الدنيا، وما يُرضيك من إظهار الدين. الثاني: يعطيك المنزلة في الآخرة، وما يرضيك من الكرامة^(١).

في ظلال الآية:

وهنا منهج رباني لكل من لمس في نفسه اعتراضاً أو جزءاً، فليُعدّد تلك النعم التي لا تُحصى، والهبات التي لا تُعد، ثم ينسبها لربه، ويشكره ويحمده عليها، ولكنه الإنسان ظلوم جهول جزوع، يفزع من الشر يُصيبه، وتُنسيه النعم شُكر ربه؛ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ المعارج: ١٩ - ٢١، والمصيبة العظمى عند من نزلت عليه الهبات والعطايا والنعم فبات يدّعي فضلها لنفسه، وينفي فضل الله عليه ورزقه له، فهذا قارون عصره، وكلامه هو الكفر بعينه: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ القصص: ٧٨، والصواب أن يكون الإنسان بين منزلة الشكر والحمد، شاكراً في السراء، صابراً في الضراء، ومن شكر فهو موعود بالزيادة ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٧. (٢)

فالخير في عطاء الله، والعبرة بالرضى بما أعطى المعطي.

(١) النكت والعيون، علي بن محمد بن محمد البصري البغدادي، ج ٦، ص ٢٩٣.

(٢) انظر: مقال: هدايات سورة الضحى، سعيد بن محمد آل ثابت، شبكة الألوكة، /٠٦٣٩٣٤/ <http://www.alukah.net/library/>

المبحث الثالث: الدراسة التحليلية للآيات من ٦-٨:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾.

{ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى }

معنى الآية:

قال ابن كثير: عدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه فقال - تعالى - : { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى } وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه، وقيل بعد أن ولد - عليه السلام -، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تديره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختر الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل، فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه - رضي الله عنهم - أجمعين، وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به^(١).

{ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى }:

معنى الآية:

هذا يخرج على وجوه:

أحدها: يقول - والله أعلم - : لولا أن الله تعالى هداك لدينه، ووفقك له، وإلا وجدك ضالا؛ إذ كان نشوءه بين قوم ضلال، لم يكن أحد يهديه ويدعوه إلى الله تعالى، ولكنه هداك وأرشدك، فلم يجدك ضالا، وهو كقوله - تعالى - : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، أي: لولا أنه أنقذكم منها، وإلا صرتم على شفا حفرة من النار لو لم ينقذكم منها.

والثاني: يقول: ووجدك ضالا لا ضلال كسب واختيار، ولكن ضلال الخلقة التي أنشئ عليها الخلق، والضلال بمعنى الجهل؛ لأن الخلق في ابتداء أحوالهم يكونون جهالا، أي: وجدك جاهلا على ما يكون في أصل الخلقة وحالة الصغر فهداك، أي: علمك، وهو كقوله - تعالى - : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ [الشورى: ٥٢].

(١) علي بن محمد بن محمد البصري البغدادي، مرجع سابق، ج ٨، ص ٤٢٦.

والثالث: يقول: (وَوَجَدَكَ ضَالًّا)، أي: غافلا عن الأنباء المتقدمة وأخبارهم حتى أطلعك الله - تعالى - على ذلك، كقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣] ^(١).

{وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنِي}

معنى الآية:

ولقد كنت فقيراً فأغنى الله نفسك بالقناعة، كما أغناك بكسبك ومال أهل بيتك (خديجة رضي الله عنها) عن أن تحس الفقر، أو تتطلع إلى ما حولك من ثراء ^(٢).

في ظلال الآيات الثلاث:

تأمل قول الحق: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ ولم يقل: فأواك، فأغناك؛ لأنه لو قال ذلك لصار الخطاب خاصاً بالنبي ﷺ وليس الأمر كذلك، فإن الله آواه وآوى به، وهداه وهدى به، وأغناه وأغنى به ^(٣)، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ الفتح: ٢٠، وما أكثر ما غم المسلمون من الكفار تحت ظلال السيوف، غنائم عظيمة كثيرة كلها بسبب هذا الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - حين اهتدوا بهديه، وأتبعوا سنته فنصرهم الله تعالى به، وغنموا من مشارق الأرض ومغاربها، ولو أن الأمة الإسلامية عادت إلى ما كان عليه السلف الصالح لعاد النصر إليهم، والغنى، والعزة، والقوة ولكن مع الأسف أن الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر كل منها ينظر إلى حظوظ نفسه بقطع النظر عما يكون به نصرة الإسلام أو خذلانه ^(٤).

في السياق لطيفة دقيقة، وهي معرض التقرير، يأتي بكاف الخطاب: ألم يجدك يتيماً، ألم يجدك ضالاً، ألم يجدك عائلاً، لتأكيد التقرير، ولم يُسند اليتم ولا الإضلال ولا الفقر لله، مع أنها كلها من الله، وفي تعداد النعم: فأوى، فهدى، فأغنى، أسندها كلها إلى ضمير المنعم، ولم يُبرز ضمير الخطاب، فلم يقل - سبحانه - : ألم نيتيمك ونأويك ونُضلك ونهديك ونعولك ونغنيك! ويظهر - والله تعالى أعلم - : أنه لم يُسند البلاء له - سبحانه - وذلك لما قد يكون فيه من إيلاّم للنبي ﷺ وأما في تعداد النعم أسندها لضمير المنعم، ولم تكن لضمير المخاطب المباشر لما كان

(١) تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، ج ١٠، ص ٥٦٠-٥٦١.

(٢) سيد قطب، مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٩٢٧.

(٣) شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن، صالح العثيمين، ص ٥٢.

(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم، محمد العثيمين، ص ٢٤١.

فيه من امتنان، وكونها نَعَم مادية، فلم يُبرز الضمير لئلا يُثقل عليه المِنَّة، بينما أبرزها في سورة الشرح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ الشرح: ١ - ٤؛ لأنها نَعَم معنوية، انفرد بها ﷺ والله تعالى أعلم^(١).

فكُن لغيرك يكن الله لك.

(١) انظر: محمد الأمين الشنقيطي، مرجع سابق، ج ٨، ص ٥٦٣.

المبحث الرابع: الدراسة التحليلية للآيات من ٩-١١:

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾.

{ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ }

معنى الآية:

فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد^(١) لا تحتقر، وقرئ فلا تكهر أي فلا تعبس في وجهه^(٢).

قال ابن سعدي: لا تُسئ معاملةً اليتيم، ولا تُضيِّق صدرك عليه، ولا تنهره، بل أكرمه، وأعطه ما تيسر، واصنع به كما تحب أن يُصنع بولدك من بعدك^(٣).

في ظلال الآية:

خصَّص الله هذا العنصر المهم من المجتمع في أكثر من آية، ولا سيما هذه الآية العظيمة المعنى العميقة الدلالة، هذا اليتيم الذي افتقد إما ذلكم الأب الذي يقوم على حاجاته ويفهم ضروراته، ويدافع عن حقوقه، أو تلكم الأم التي تُغذيه بالحنان، وتُدفعه بالعاطفة، وتُظله بالعناية الوارفة، تعلقو كلماتها الرحمة، وينساب من حزمها الشفقة؛ لذا فاليتيم حين يفقد أحد هذين الموردتين المهمين في حياته فإن دواعي ظلمه ومقتته والجفاف معه ستزيد، وخاصة في المجتمعات التي جفت ضمائرهما، واطمحل الإيمان في مَهَجها، وقد اختلف العلماء من هو اليتيم؟ هل هو من فقد أباه أو أمه، والحق أن اليتيم من فقد أحدهما أو كلاهما، بل حتى اللقيط في الجملة فهو أحد الأيتام^(٤). وقالوا: فَهَر اليتيم: أخذ ماله وظلمه، وقيل: هو بمعنى عبوسة الوجه، والمعنى أعم، كما قال ﷺ عند أبي داود: (اللهم إني أعوذ

(١) مجاهد بن جبر أبو الحجاج، المكي، المخزومي (٢١-١٠٤هـ، ٦٤٢-٧٢٢م). شيخ القراء والمفسرين. إمام، ثقة، فقيه، عالم، كثير الحديث، برع في التفسير وقراءة القرآن والحديث. روى عن ابن عباس فأكثر، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه. كما روى عن أبي هريرة وعائشة وسعد ابن أبي وقاص وعبد الله بن عمر. وقد عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات يقف عند كل آية يسأله، فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ كان ابن جابر لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها، وكان أعلم الناس بالقرآن، حتى قال الثوري خذوا العلم من أربعة: مجاهد وسعيد بن جبيرة وعكرمة والضحاك.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود، ج٩، ص ١٧١.

(٣) عبد الرحمن السعدي، مرجع سابق، ص ١٠٩٥.

(٤) انظر: مقال: هدايات سورة الضحى، سعيد بن محمد آل ثابت، شبكة الألوكة، <http://www.alukah.net/library/0/63934/>.

بك من الهم والحزن ومن العجز والكسل، ومن الجبن والبخل، ومن غلبة الدين وقهر الرجال^(١)، فالقهر أعم من ذلك، وخصّ اليتيم؛ لأنه لا ناصر له غير الله تعالى، فغلظ في أمره، بتغليظ العقوبة على ظالمه^(٢).

{وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ}

معنى الآية:

لا يصدر منك إلى السائل كلام يقتضي رده عن مطلوبه، بنهرٍ وشراسة خُلق، بل أعطه ما تيسر عندك أو لاده بمعروف وإحسان^(٣).

في ظلال الآية:

هنا السائل لم تُحدّد هويته ولا جنسه ولا مسألته، بل أي سائل سواء سأل الطعام أو المال أو العلم أو الخدمة، لا تنهره ولا تزجره، قال ابن سعدي: وهذا يدخل فيه السائل للمال والسائل للعلم^(٤)، وقد يُقعد الشيطان البعض بجيل لا تقف، فقد يُوهم المنيق بكذب السائل أو تزويره للحقائق، وهذا يظهر للبعض مع القرائن - إن وُجدت - لكن من لم يظهر له شيء فليتمعن في هذا الحديث العظيم؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون، تُصدّق على سارق؟ فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون تُصدّق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون تُصدّق على غني، فقال: اللهم لك الحمد على سارق وعلى زانية وعلى غني، فأتي فقيل له: أما صدقتك على سارق، فلعله أن يستعفف عن سرقة، وأما الزانية فلعلها أن تستعفف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفيق مما أعطاه الله)^(٥)، فأعطِ السائل وأحسن النية، فإن لم تُعطه، فالجواب بلطف قد يقوم مقام العطاء، وكما قيل: فليُسعد النطق إن لم يُسعد المال^(٦).

قال ابن عثيمين: لكن هذا العموم يدخله التخصيص؛ إذا عرفت أن السائل في العلم إنما يُريد التعنّت، وأخذ رأيك وأخذ رأي فلان وفلان، حتى يضرب آراء العلماء بعضها ببعض، فإذا علمت ذلك فهنا لك الحق أن تنهره،

(١) رواه أبو داود في الصلاة: أبواب فضائل القرآن: باب في الاستعاذة: ج ٢، ص ٦٥١، رقم (١٥٥٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، ج ١٩، ص ٧٥.

(٣) عبد الرحمن السعدي، مرجع سابق، ص ١٠٩٥.

(٤) المرجع السابق، ص ١٠٩٥.

(٥) رواه البخاري في الزكاة: باب إذا تصدق على غني وهو لا يعلم، ج ٢، ص ١١٠، رقم (١٤٢١).

(٦) انظر: مقال: هدايات سورة الضحى، سعيد بن محمد آل ثابت، شبكة الألوكة، /٠/٦٣٩٣٤/ <http://www.alukah.net/library/>

وأن تقول: يا فلان، اتق الله، ألم تسأل فلانًا كيف تسألني بعدما سألته؟! أتلعب بدين الله؟! أتريد إن أفتاك الناس بما تحب سكتًا، وإن أفتوك بما لا تحب ذهبت تسأل؟! هذا لا بأس؛ لأن هذا النهر تأديب له، وكذلك سائل المال إذا علمت أن الذي سألك المال غني فلك الحق أن تنهره، ولك الحق أيضًا أن تُؤخِّه على سؤاله وهو غني، إذًا هذا العموم "السائل فلا تنهر"، مخصوص فيما إذا اقتضت المصلحة أن يُنهر فلا بأس^(١).

{ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ }

معنى الآية:

أي انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء، والتحدث بنعم الله والاعتراف بها شكر، والخطاب هنا للنبي ﷺ، والحكم عام له ولغيره^(٢).

وقال السعدي في تفسيرها: "وهذا عام يشمل النعم الدينية والدنيوية { فَحَدِّثْ } أي: أثن على الله بها، وخصَّصها بالذكر إن كان هناك مصلحة.

وإلا فحدث بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدث بنعمة الله، داع لشكرها، وموجب لتحيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن"^(٣).

في ظلال الآية:

النعمة: كل ما أنعم الله به على العبد، من: مال، وعافية، وهداية، وقيل: المراد بها: المذكورات والتحدث بها شكرها عمليًا من إيواء اليتيم كما آواه الله، وإعطاء السائل كما أغناه الله، وتعليم المسترشد كما علّمه الله، وهذا من شكر النعمة، أي: كما أنعم الله عليك، فتنعم أنت على غيرك؛ تأسيا بفعل الله معك^(٤)، وحقيقة الشكر ظهور أثر النعم الإلهية على العبد في قلبه إيمانًا وفي لسانه حمدًا وثناءً وفي جوارحه عبادة وطاعة، إن شكر النعم مظنة بقائها، ومن تعاضم شكر الله محق الله ما لديه، وهذا لعمرى من ضَعْف الإيمان وقلة البصيرة أن يَهَبِكَ اللهُ النعمة، ثم تنقلب جاحدًا ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات: ٦]، والكنود: هو الذي لا يشكر نعمه، قال الحسن: أي يُعَدُّ المصائب وينسى النعم^(٥)، والتحدث بالنعم شكر وتزكها كفر، ومن لا يشكر القليل، لا يشكر الكثير ومن لا يشكر الناس

(١) محمد العثيمين، مرجع سابق، ص ٢٤٤.

(٢) القرطبي، مرجع سابق، ج ٢٠، ص ٧٧.

(٣) عبد الرحمن السعدي، مرجع سابق، ص ١٠٩٥.

(٤) محمد الأمين الشنقيطي، مرجع سابق، ج ٨، ص ٥٧٠ - ٥٧١.

(٥) القرطبي، مرجع سابق، ج ٢٠، ص ١٢٥ - ١٢٦.

لا يشكر الله، ومن فضائل الشكر أن قرّنه الله بالإيمان، وأنه لا غرض له في عذاب الخلق، إذا قالوا آمنا ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٧].

وعن أبي نضرة: قال: "كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يُحَدِّثَ بِهَا" (١)، لكن تُحَدِّثَ بِهَا إظهارًا للنعمة وشكرًا للمنع، لا افتخارًا بما على الخلق؛ لأنك إذا فعلت ذلك افتخارًا على الخلق، كان هذا مذمومًا، أما إذا قلت أو إذا ذكرت نعمة الله عليك تحدّثًا بالنعم، وشكرًا للمنع، فهذا مما أمر الله به (٢)، واحترس من كسر نفوس الفقراء، وأن تتحدّث بنعمك عند حاسديها.

هنا وقف الله الكثير من الجزاء على المشيئة: ﴿ فَسَوْفَ يُعْطِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ﴾ [التوبة: ٢٨]، وفي الإجابة: ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ ﴾ [الأنعام: ٤١]، وفي المغفرة: ﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [الفتح: ١٤]، وفي الرزق: ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الشورى: ١٩]، وفي التوبة: ﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ [التوبة: ١٥]، أما الشكر فإنه أطلقه: ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٥] ولم يقل: "إن شاء!" (٣).

فيا لعظيم شكر الشكور.

(١) توفيق الرحمن في دروس القرآن، فيصل آل مبارك، ج ٤، ص ٥٠١.

(٢) محمد العثيمين، مرجع سابق، ص ٢٤٤.

(٣) انظر: مقال: هدايات سورة الضحى، سعيد بن محمد آل ثابت، شبكة الألوكة، /٠/٦٣٩٣٤/http://www.alukah.net/library/

الفصل الثالث: الدراسة الموضوعية: مظاهر العناية الربانية بالنبي ﷺ

ويتضمن ثلاث مباحث وست مطالب:

المبحث الأول: مظاهر العناية الربانية بالنبي محمد ﷺ في بداية نشأته وقبل البعثة:

المطلب الأول: الإرهاصات التي وقعت عند ميلاده ﷺ.

المطلب الثاني: حادثة شق الصدر (الأولى) في ديار بني سعد.

المبحث الثاني: مظاهر العناية الربانية في العهد المكي وفي التأييد بالرسالة:

المطلب الأول: الرؤيا الصادقة وبدء نزول الوحي:

المطلب الثاني: تأييد النبي ﷺ بالمعجزات الحسية:

المطلب الثالث: الإسراء والمعراج:

المطلب الرابع: عناية الله عز وجل بنبيه ﷺ أثناء الهجرة:

المبحث الثالث: مظاهر العناية الربانية بالنبي محمد ﷺ في تفضيله بالعطايا والنعيم.

لقد أبانت لنا سورة الضحى مظاهر جليلة من مظاهر العناية، وفي ظل هذه السورة تنفيماً مظاهر من مظاهر العناية الربانية بالنبي الكريم ﷺ، ليتجلى لنا من خلال هذه المظاهر والأحداث معنى قوله تعالى في سورة الضحى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [الضحى: ٣]، كما يتجلى فيها معنى قوله تعالى ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى: ٥].

والحق أنني لم أحصي مظاهر العناية الربانية به ﷺ، فذلك مما لا يحصيه بحث مثل هذا البحث الفصلي. وحسبي أنني ألمح بمواقف جليلة من تلك العناية الربانية.

وقد نظمت هذه المظاهر في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مظاهر العناية الإلهية بالنبي محمد ﷺ قبل البعثة.

لقد خلق الله تعالى الخلق واصطفى منهم الأنبياء، واصطفى من الأنبياء الرسل، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥].

ثم اصطفى من الرسل أولي العزم منهم، واصطفى من أولي العزم محمداً ﷺ على سائر خلقه فقد اصطفاه الله عز وجل من خير أبناء ولد آدم.

روى مسلم عن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: قال ﷺ: (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم) (١).

فهو ﷺ خيار من خيار، وقد جمع الله له أنواع الشرف من كل وجه. وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم تبعث في أشرف أنساب قومها، حتى لا يعلمهم أحد في الشرف والرفعة، وليكون أميل لقلوب الخلق إليهم.

وقد اعترف بذلك أبو سفيان بن حرب حين سأله هرقل ملك الروم -وهو يومئذ كافر- قال: (ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها) (٢).

كذلك من عناية الله تعالى به وحفظه إياه، أنه عز وجل فدى أبويه إسماعيل وإبراهيم من الذبح، لذلك سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن الذبيحين.

(١) رواد مسلم في الفضائل: باب فضل نسب الرسول ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة: ج ٤، ص ١٧٨٢، رقم (٢٢٧٦).

(٢) رواد البخاري في بدء الوحي: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ج ١، ص ٨، رقم (٧).

ومن عناية الله تبارك وتعالى به وحفظه إياه، أن طهر أصوله ﷺ، وحماهم من سفاح الجاهلية، فلم يدنس نسبه شيء من ذلك لا من جهة آبائه ولا من جهة أمهاته، ولم يلتق أبواه قط على سفاح أبداً، ولم ينزل الحق تبارك وتعالى ينقله من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً حتى ولدته أمه.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى جرت سنته ألا يبعث نبياً إلا في وسط من قومه شرفاً ونسباً، فقد كان في الذروة من هذه نبينا محمد ﷺ، فما كان أحد من آبائه إلا كان مشتهراً بالفضائل والمكارم، وما من أم من أمهاته إلا وهي أفضل نساء قومها شرفاً ونسباً وموضعاً، ولم تنزل هذه الفضائل والكمالات البشرية تنتقل من الأصول إلى الفروع حتى تجمعت كلها في خير مولود عرفته البشرية - سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين - صلوات الله وسلامه عليه، وليس هناك شك في أن النسب الكريم إذا زانه الحسب العريق، كان ذلك من أسباب الكمال.

وهذا من بالغ عناية الحق عز وجل برسوله ﷺ، وتتجلى هذه العناية الإلهية بالنبي محمد ﷺ قبل البعثة في عدة مطالب:

المطلب الأول: الإرهاصات التي وقعت عند ميلاده ﷺ.

تعريف الإرهاص: "الإرهاص: ما يظهر، أو ما يصدر من الخوارق عن النبي ﷺ قبل ظهوره، كالنور الذي كان في جبين آباء نبينا ﷺ.

وقيل الإرهاص: هو إحداث أمر خارق للعادة دال على بعثة نبي قبل بعثته" (١).

إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً يسر أسبابه، ومهد له طريقه، وأخضع له نواميس الكون، ذلك لأن التدبير كله بيده، فيخفض من يشاء وإن عز، ويرفع من يشاء وإن ذل.

قال ابن القيم في الهدى: "إن مما جرت به عادة الله تعالى أن يقدم بين يدي الأمور العظيمة مقدمات تكون كالمدخل إليها المنبهة عليها" (٢).

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ج ١، ص ١٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ج ٣، ص ٣٦٩.

لقد أورد مؤرخو السيرة النبوية عدداً من الإرهاصات التي وقعت عند ولادته صلى الله عليه وسلم منها:

أولاً: إهلاك أصحاب الفيل:

وذلك عام ولادته ﷺ على الصحيح الذي عليه أكثر العلماء.

وكان إهلاكهم تشريعاً له ﷺ وبلده الحرام، وصيانة للبيت العتيق الذي شرفه الله عز وجل وعظمه ووقره ببعثة النبي الأمي خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلْنَا بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَزِمِيهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ١-٥].

قال الإمام الفخر الرازي^(١): "ولا شك أن هذه الواقعة كانت دالة على قدرة الصانع وعلمه وحكمته، وكانت دالة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن مذهبنا أنه يجوز تقديم المعجزات على زمان البعثة تأسيساً لنبوتهم وإرهاصاً لها"^(٢).

ثانياً: رؤيا آمنة بنت وهب عند ولادته ﷺ:

ذكر ابن سعد^(٣) في الطبقات قال: "أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي قال: حدثني علي بن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة، عن أبيه، عن عمته قالت: كنا نسمع أن رسول الله ﷺ لما حملت به آمنة بنت وهب كانت تقول: ما شعرت أي حملت به، ولا وجدت له ثقله كما تجد النساء إلا أي قد أنكرت رفع حيضتي، وربما كانت ترفعي وتعود وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان، فقال: هل شعرت أنك حملت؟ فكأني أقول: ما أدري، فقال: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبیها، وذلك يوم الاثنين، قالت: فكان ذلك مما يقن عندي الحمل ثم أمهلني حتى إذا دنا ولادتي أتاني ذلك الآتي فقال: قولي: أعيذه بالواحد الصمد من شر كل حاسد، قالت: فكنت أقول ذلك، فذكرت ذلك لنسائي، فقلن لي: تعلقني حديثاً في عضديك وفي عنقك قالت: ففعلت، قالت: فلم يكن ترك علي إلا أياماً فأجده قد قطع فكنت لا أتعلقه"^(٤).

(١) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي الرازي الملقب بفخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، أخذ العلم من كبار علماء عصره ومهم والده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة، أختلِف في سبب وفاته وقيل مات مسموماً (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ).

(٢) مفاتيح الغيب، ج ٣٢، ص ٢٨٩.

(٣) محمد بن سعد بن منيع، الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، أبو عبد الله. كان محدثاً، حافظاً، مؤرخاً، مشاركاً في الأنساب. ولد في البصرة وبها طلب العلم في صباه حيث كانت البصرة مركزاً من مراكز العلم والحضارة. (١٦٨ - ٢٣٠ هـ).

(٤) ج ١، ص ٧٩.

المطلب الثاني: حادثة شق الصدر:

إن حادثة شق الصدر التي حصلت لرسول الله ﷺ أثناء وجوده في ديار بني سعد تعد من إرهاصات النبوة ودلائل اختيار الله إياه لأمر جليل، وذلك لإعداده ﷺ لما هو مقبل عليه من أجواء ومواقف جديدة تختلف في طبيعتها عن الطبيعة البشرية، وهذا إن دل فإنما يدل على شدة العناية الإلهية برسول الله ﷺ، ولقد وقع له عليه السلام شق الصدر ثلاث مرات:

المرة الأولى: حين كان في ديار بني سعد وهو ابن خمس سنين على ما قاله أنس بن مالك -رضى الله عنه-، وأخرج في هذه المرة العلقة السوداء من قلبه ﷺ التي هي حظ الشيطان ومحل غمزه، أي محل ما يلقيه من الأمور التي لا تنبغي، فلم يكن للشيطان في قلب النبي عليه الصلاة والسلام حظ.

فقد أخرج مسلم في صحيحه قال: عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ (أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه^(١))، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه -يعني ظئره - فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون)، قال أنس: (وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره)^(٢).

وهكذا لم يكن لقلبه الطاهر ميل إلى لعب الصبيان ونحوه، وهو مما اختص به ﷺ دون الأنبياء عليهم السلام، فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان.

والمرة الثانية: عند بدء الوحي وبلوغه سن الأربعين؛ ليحصل له القدرة على تحمل أعباء الرسالة وزيادة في إكرامه؛ ليتلقى ما يوحي إليه بقلب قوي، وفي أكمل الأحوال من التطهير.

والمرة الثالثة: ليلة الإسراء والمعراج ليتسع قلبه لحفظ الأسرار الإلهية والكلمات الربانية وليتأهب للمناجاة^(٣).

وجميع الحالات الثلاث كلها دالة على العناية الربانية به ﷺ.

(١) صرع: صرعه صرعاً أي: طرحه بالأرض. والصراع: معالجتهم أيهما يصرع صاحبه. ورجل صريع أي: تلك صنعته التي يعرف بها. وصرع: شديد الصرع وإن لم يكن معروفاً، وصرع للأقران، أي: كثير الصرع لهم. والصراعة مصدر الاصطراع بين القوم، وأصرعة: القوم يصرعون من صارعوا.

العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، ج ١، ص ٢٩٩.

(٢) رواه مسلم في الإيمان: باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات: ج ١، ص ١٤٧، رقم (١٦١).

(٣) انظر: مظاهر العناية الإلهية بالنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم، محمد عبد الفتاح أحمد بدران، ص ١٠٠-١١٥.

المبحث الثاني: مظاهر العناية الربانية في العهد المكي:

تتجلى هذه العناية الإلهية بالنبي محمد ﷺ في أبهى صورها، وذلك بعد أن أتم رسول الله ﷺ الأربعين من عمره، والدنيا من حوله تنتقل من سيء إلى أسوأ، والإنسانية ترتع في مستنقع من الجهل والظلام الدامس، والناس منغمسون في جهل وجاهلية، وخرافة ووثنية. وفي هذا المجتمع المظلم الذي بلغ غرور الفرد مداه، وهذا الغرور الذي جعل عمرو بن هشام^(١) يعلل كفره برسالة محمد ﷺ بقوله: (زاحمنا بنو مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كفرنسي رهان قالوا: منا نبي يوحى إليه، والله لا نرضى به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه)^(٢).

من هنا كانت عناية الرحمن تحيط برسوله ﷺ وتشمله على كل جانب، وتتجلى هذه العناية في عدة مطالب منها:

المطلب الأول: الرؤيا الصادقة وبدء نزول الوحي:

كان أول ما بدئ به ﷺ من الوحي، الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. روى البخاري ومسلم في صحيحهما -واللفظ للبخاري- عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن يرتع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: (ما أنا بقارئ)، قال: (فأخذي فغطني^(٣)) حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذي فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذي فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: (زملوني زملوني) فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: (لقد خشيت على نفسي) فقالت

(١) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي أشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام وأحد سادات قريش وأبطالها ودهائها أدرك الإسلام وكان يقال له الحكم فدعاه المسلمون أبا جهل واستمر على عناده يثير الناس على النبي ﷺ وأصحابه حتى كانت وقعة بدر الكبرى فشدها مع المشركين فكان من قتلها وذلك في ١٧ رمضان سنة ٢ هـ. الأعلام، الزركلي، ج ٥، ص ٦١٨.

(٢) الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، ج ٢، ص ٦١٨.

(٣) الغط: العصر الشديد والكبس، ومنه الغط في الماء الغوص. ومنه قوله: فأخذي جبريل فغطني. وغطه في الماء يغطه ويغظه غطا: غطسه وغمسه ومقله وغوصه فيه. وانغظ هو في الماء انغطاطا إذ انقمس فيه، بالقاف. وتغاط القوم يتغاطون أي يتماقلون في الماء.

- لسان العرب، محمد جمال الدين ابن منظور، ج ٧، ص ٣٦٢.

خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل (١)، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: (أو مخرجي هم)، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي (٢).

المطلب الثاني: تأييد النبي ﷺ بالمعجزات الحسية:

ويتجلى هذا التأييد بأسمى معانيه، فيما حدث بين رسول الله ﷺ وأبي جهل -أشد الناس عداوة للنبي ﷺ فقد أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يُعفّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال فقيل: نعم، فقال: واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليظاً على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخدقا من نار وهؤلاء وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا) قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ * أَن رَّاهُ اسْتَعْتَى * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [العلق: ٦-١٣] يعني أبا جهل (٣).

المطلب الثالث: الإسراء والمعراج:

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

لقد جاء حدث الإسراء والمعراج لرسول الله ﷺ، بعد أن تخلت عنه أسباب الدنيا في مكة فقد روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: (أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار، ودون

(١) الكل العيال والثقل. وفي حديث خديجة: (كلا إنك لتحمل الكل)؛ هو، بالفتح: الثقل من كل ما يتكلف. والكل: العيال. وكلل الرجل: ذهب وترك أهله وعياله بمضيعة. يقال: بات فلان بكلة سوء أي بحال سوء.

- المرجع السابق، ج ١١، ص ٥٩٤.

(٢) رواه البخاري في بدء الوحي: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ج ١، ص ٧، رقم (٣).

(٣) صحيح مسلم في صفة القيامة والجنة والنار: باب قوله: (إن الإنسان ليظغى أن رآه استغنى)، ج ٤، ص ٢١٥٤، رقم: (٢٧٩٧).

البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل ﷺ: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء ... الخ الحديث^(١).

وقد جاءت أحاديث كثيرة في تفصيل وشرح عجائب الإسراء والمعراج، وخواص نبينا ﷺ فيه، بلغت في كثرتها حد التواتر.

وهذا كله من فرط العناية الإلهية برسول الله ﷺ.

المطلب الرابع: عناية الله عز وجل بنبيه ﷺ أثناء الهجرة:

١. في دار الندوة:

لقد ضاق صدر المشركين وأعتتهم الحيل في كيفية التخلص من النبي ﷺ، فاجتمع رؤسائهم وقادتهم في دار الندوة -وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها- يتشاورون ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ، فقال قائل منهم: إذا أصبح فأثبته -أي احبسوه حتى يموت -، وقال بعضهم: بل اقتلوه وتخلصوا منه، وقال بعضهم: بل أخرجوه من مكة منفياً مطروداً.

لقد ائتمروا بهذا كله ثم اختاروا قتله، على أن يتولى ذلك المنكر منهم فتية من شتى القبائل حتى يتفرق دمه في القبائل ويعجز بنو هاشم عن قتال العرب كلها، فيرضوا حينئذ بالدية وينتهي الأمر، وترصدوا له المرصاد، ولكن رسول الله ﷺ كانت تصاحبه العناية الإلهية، فخرج عليهم يتلو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ يس: ٩.

وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْرِحُوكَ وَمَكْرُوهٌ أَلَلَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

(١) صحيح مسلم، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، ج ١، ص ١٤، رقم: ١٦٢.

٢. في الغار:

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

في هذه الآية الكريمة يضرب الله عز وجل المثل للمؤمنين من الواقع التاريخي الذي يعلمونه، على نصرة الله لرسوله ﷺ بلا عون منهم ولا ولاء، والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء^(١).

وروى البخاري في صحيحه قال: حدثنا أنس قال: حدثني أبو بكر رضي الله عنه، قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رأنا، قال: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما)^(٢).

وهذا من بالغ العناية والحراسة الربانية لرسول الله ﷺ.

(١) انظر: مظاهر العناية الإلهية بالنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم، محمد عبد الفتاح أحمد بدران، ص ١٢٦ - ١٤١.

(٢) صحيح البخاري في تفسير القرآن: باب قوله: (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا)، ج ٦، ص ٦٦، رقم (٤٦٦٣).

المبحث الثالث: مظاهر العناية الربانية بالنبي محمد ﷺ في تفضيله بالعطايا والنعمة:

الله تعالى اصطفى من خلقه البشر، واصطفى من البشر الموحدين، واصطفى من الموحدين له الأنبياء والرسل، واصطفى من الرسل أولي العزم (نوح - إبراهيم - موسى - عيسى - محمد) عليهم صلوات الله وسلامه، فعلى قدر الاصطفاء تكون المنن والمنح.

ولقد اختار الله نبيه الخاتم، واصطفاه وفضله على خلقه، وكفاه، وأعطاه فأجزل له العطاء حتى رضي. قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥] (١).

وهذه جملة يسيرة من عطايا الله عز وجل لنبيه ﷺ ساقها إلينا خاتم المرسلين وسيد الخلق أجمعين:

فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: (أُعْطِيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةَ فليصل وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَأُعْطِيْتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَةً وَبُعْتَتْ إِلَى النَّاسِ عَامَةً) (٢).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ أُعْطِيْتُ جِوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهْرًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ) (٣).

وعن عقبه بن عامر أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلواته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: (إِنِّي فَرَطْتُ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيْتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَشْرَكُوا بَعْدِي وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا) (٤).

وعن وائلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أُعْطِيْتُ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ وَأُعْطِيْتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَيِّنَ وَأُعْطِيْتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِي وَفُضِّلْتُ بِالْمُقْصَلِ) (٥).

(١) انظر: مظاهر العناية الإلهية بالنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم، محمد عبد الفتاح أحمد بدران.

(٢) رواه البخاري في التيمم: ج ١، ص ٧٤، رقم (٣٣٥).

(٣) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة: باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً: ج ١، ص ٣٧١، رقم (٥٢٣).

(٤) رواه مسلم في الفضائل: باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته: ج ٤، ص ١٧٩٥، رقم (٣٠).

(٥) رواه أحمد في تمة مسند الشاميين: باب: ومن حديث ثوبان: ت شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ج ٢٨، ص ١١٨، رقم (١٦٩٨٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

وهو في "مسند الطيالسي" برقم (١٠١٢)، والطبري في مقدمة "تفسيره" (١٢٦)، والطبراني في "الكبير" ج ٢ (١٨٧)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٢٤٨٥)، وأورده الهيثمي في "المجمع" ج ٧ (١٥٨) وقال: رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم، قد ضعفه جماعة ويعتبر بحديثه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

السَّبْعُ: السور السبع الطوال من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الأعراف، فهذه ست سور، واختلفوا في السابعة أهي الأنفال وبراءة معا؛ لعدم الفصل بينهما بالبسملة، بجعل الأنفال وبراءة بمنزلة سورة واحدة أم هي سورة يونس؟، **المئتين:** السور التي زادت آياتها عن مائة آية أو تقاربها، **المئتين:** السور التي تلي المئتين في عدد الآيات وهي ماقبل عددها عن المائة، **بالمفصل:** السور التي عدد آياتها قليل وهي السبع الأخير من القرآن^(١).

فهذا من بعض ما أعطاه ربه فأرضاه، فما أعظم هذه العناية، وما أعظم هذا العطاء.

(١) التعريف بالقرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص ١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي هدى ويسر، فهذه جولة في بعض دواوين العلم وبعض مصنفات أئمة الإسلام، وما مثلي أمام هذه الكتب إلا كما قال أبو عمرو بن العلاء: ما نحن فيمن مضى إلا كبقل في أصول نخل طوال.

وحسبنا أن نقتبس من نورهم، وأن نأخذ بآثارهم، فنعرف لهم قدرهم، ونُنزلهم منازلهم.

ومن هنا كان هذا البحث المتواضع وقد توصلت إلى نتائج عدة:

١. الصعوبة البالغة التي يعاني منها طلاب العلم في البحث عن الكتب والمصنفات في التفسير الموضوعي، نظراً لقلّة هذه الكتب وندرتها في المكتبات.

٢. أن النبي محمد ﷺ لا يعرف قدره إلا الله جل وعز.

وكذلك مما لا خلاف فيه أن القرآن الكريم أفاض الحديث في تضاعيف آياته بصورة لا يستطيع معها أحد تجلية مكانة النبي ﷺ مهما أوتي من باع في البحث والتأليف.

٣. الاعتراف بالعجز والتقصير في هذا الموضوع نظراً للمكانة العالية والمنزلة الرفيعة السامية التي أولاها الحق سبحانه لسيد الخلق وحبيب رب العالمين محمد ﷺ ولكن ما لا يُدرك جُله لا يترك كله.

وعليه فأوصي بما يلي:

١. توجيه أنظار القائمين على الدراسات القرآنية بتكثيف البحوث والرسائل في التفسير الموضوعي، نظراً لأهميته وحاجة طلاب العلم الشديد إليه.

٢. توجيه طاقة المعنيين ببحوث السنة النبوية نحو الشمائل المحمدية، وتحقيق ودراسة وتذليل هذه الكتب أمام الأجيال الحاضرة؛ ليفهموا قدر نبيهم وليُعلموا الدنيا بمنزلته ﷺ.

٣. توجيه أنظار الدعاة والوعاظ للتزود من هذا المعين -معين السنة النبوية- خاصة في الجانب الذي يتناول شخصية النبي ﷺ لأخذ القدوة الصالحة منه ﷺ للعمل بأخلاقه في الدعوة إذ هو سيد الدعاة.

٤. ترجمة هذه الكتب إلى جميع لغات العالم لتعرف العوالم الغير مسلمة قدر النبي ﷺ حتى لا تهجم عليه بجهلها وفسقها.

٥. انتخاب القصص المدهش الأخاذ من كتب الشمائل والسير وتبسيطه وتزويد المكتبات به، لإرواء أبنائنا من هذا الفيض النبوي، حتى يشب النشء على حب رسول الله ﷺ والتخلق بأخلاقه والافتداء بهديه ﷺ.

ختامًا: ماكان في ها البحث من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان.

وصلى الله وسلم على من أرسل للناس رحمة، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس:

وتشتمل على:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع العلمية.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

مكان ورودها في البحث	رقم الآية	اسم السورة	الآية
٢	١٥٢	البقرة	﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ واشْكُرُوا لِي ﴾
١٨	١٠٣	آل عمران	﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾
٢٤	١٤٤	آل عمران	﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾
٢٤	١٤٥	آل عمران	﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾
٢٤	١٤٧	النساء	﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ ﴾
٢٤	٤١	الأنعام	﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ ﴾
٣٢	٣٠	الأنفال	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
٢٤	١٥	التوبة	﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾
٢٤	٢٨	التوبة	﴿ فَسَوْفَ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾
١٨	٣	يوسف	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾
١٧	٧	إبراهيم	﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾
٣١	١	الإسراء	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾
١٤	١١٩	طه	﴿ وَأَنْتَ لَا تَظُنُّمْ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾
٢٦	٧٥	الحج	﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾
١٧	٧٨	القصص	﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾
١	٦٩	العنكبوت	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾
٣٢	٩	يس	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ﴾
٢٤	١٩	الشورى	﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ﴾
١٨	٥٢	الشورى	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾
٢٤	١٤	الفتح	﴿ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾
١٩	٢٠	الفتح	﴿ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَائِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾
١٧	٢٠-١٩	المعارج	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾
١٤، ١٢، ١٠	١	الضحى	﴿ وَالضُّحَى ﴾
١٤، ١٢، ١٠	٢	الضحى	﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾
٢٦، ١٤، ١٢، ١٠	٣	الضحى	﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾
١٦، ١٥، ١٤	٤	الضحى	﴿ وَلَا آخِرَ خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾
٣٤، ٢٦، ١٧، ١٥، ١٤، ١٢	٥	الضحى	﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾

مكان ورودها في البحث	رقم الآية	اسم السورة	الآية
١٨، ١٤، ١٢	٦	الضحى	﴿أَمْ لَمْ يُجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾
١٨، ١٤، ١٢	٧	الضحى	﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾
١٨، ١٤، ١٢	٨	الضحى	﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾
٢١، ١٤، ١٢	٩	الضحى	﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾
٢١، ١٤، ١٢	١٠	الضحى	﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾
٢١، ١٤، ١٢	١١	الضحى	﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾
٢٠	٤-١	الشرح	﴿أَمْ نَشْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ﴾
٣٠	٥-١	العلق	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾
٣١	١٣-٦	العلق	﴿كَأَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَعَى﴾
٢٣	٦	العاديات	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾
٢٧	٥-١	الفيل	﴿أَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	الراوي	مكان وروده في البحث
(أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه)	مسلم	٢٩
(أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار)	مسلم	٣١
(اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثا)	البخاري	١٠
(أُعْطِيتُ خمساً لم يعطهن أحد قبلي نُصِرْتُ بالرعب)	البخاري	٣٤
(أُعْطِيتُ مكان التوراة السَّبْعَ وأُعْطِيتُ مكان الزبور المئين)	أحمد	٣٤
(إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل)	مسلم	٢٦
(إني قَرُطٌ لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى)	مسلم	٣٤
(ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟)	البخاري	٢٦
(فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم)	مسلم	٣٤
(قال أبو جهل: هل يُعَفِّرُ محمد وجهه بين أظهركم؟)	مسلم	٣١
(كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين)	البخاري	٣٣
(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)	الترمذي	٢

فهرس الأعلام

اسم العلم	سنة الوفاة	مكان وروده في البحث
ابن تيمية، تقي الدين أبو العاس أحمد.	١٣٢٨هـ	٩
ابن سعد البغدادي، محمد بن سعد بن منيع.	٢٣٠هـ	٢٨
ابن كثير القرشي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر.	٧٧٤هـ	١٦
ابن هشام المخزومي، أبو جهل عمرو بن هشام بن مغير.	٥٢هـ	٣٠
أبو الحجاج المخزومي، مجاهد بن جبر.	١٠٤هـ	٢١
سيد قطب الشاربي، إبراهيم بن حسين.	١٣٨٥هـ	٩
فخر الدين الرازي، محمد بن بن عمر بن الحسين.	٦٠٦هـ	٢٨

فهرس المصادر والمراجع العلمية

١. القرآن الكريم.
٢. الصحيحين.
٣. سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، الناشر، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٤. سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.
٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود، دار إحياء التراث العربي.
٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، الناشر: دار الفكر، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
٧. إيجاز البيان في سور القرآن، محمد علي الصابوني، الناشر: مكتبة الغزالي، الطبعة: الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٨. تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٩. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
١٠. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١١. التعريف بالقرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
١٢. تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي السلامة، الناشر: دار طيبة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٣. تفسير القرآن الكريم جزء عم، محمد العثيمين، الناشر: دار الثريا، الطبعة: الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٤. توفيق الرحمن في دروس القرآن، فيصل آل مبارك، تحقيق: عبد العزيز آل حمد، الناشر: دار العاصمة و دار العليان، الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٥. تيسير القرآن الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ.
١٦. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٧. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عماد البارودي و خيرى سيد، الناشر: المكتبة التوقيفية.
١٨. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية، الطبعة: السابعة والعشرون ١٤١٥هـ - ١٩٤٤م.
١٩. شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن، صالح العثيمين، تحقيق: أيمن الدمشقي ومحمد الطالبي وصبحي رمضان، الناشر: مكتبة السنة، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢٠. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري البغدادي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٢١. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، ت د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٢. الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، تحقيق: أحمد مجتبى، الناشر: دار العاصمة.
٢٣. في ظلال القرآن، سيد قطب، الناشر: دار الشروق، الطبعة: الثالثة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
٢٤. اللباب في تأويل الكتاب، سراج الدين عمر بن علي الدمشقي النعماني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٥. لسان العرب، محمد جمال الدين ابن منظور، الناشر: دار صادر، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.
٢٦. مجموع الفتوى، أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم و محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٧. المختصر في التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة: الثانية ٢٠١٤م.
٢٨. مظاهر العناية الإلهية بالنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)، محمد عبد الفتاح أحمد بدران، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه، تحت إشراف: د. خالد نبوي سليمان حجاج، قسم القرآن الكريم وعلومه، جامعة المدينة العالمية ماليزيا، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٢٩. معارج التفكير ودقائق التدبر، عبد الرحمن بن حسن بن حنكة الميداني، الناشر: دار القلم، الطبعة: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٣٠. مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠هـ.
٣١. مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق: عدنان زرزور، الطبعة: الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٣٢. النكت والعيون، علي بن محمد بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية.
٣٣. وقفات تربوية مع مرحلة الدعوة المكية، طه بأفضل، الناشر: دار الألوكة، الطبعة: الأولى ١٩٠٠م.

• المراجع الإلكترونية:

٣٤. مقاصد السور القرآنية، د. محمد الخضيري، ملتقى أهل التفسير، <https://vb.tafsir.net/tafsir/201436/#.WhWMaFUjTDd>
٣٥. مقال: هدايات سورة الضحى، سعيد بن محمد آل ثابت، شبكة الألوكة، بتصرف، <http://www.alukah.net/library/0/63934/>

فهرس الموضوعات

١	استهلال
٢	شكر وتقدير
٤	إهداء
٥	المقدمة
٨	الفصل الأول: بصيرة في: (سورة الضحى)
٩	المبحث الأول: نزول السورة
١١	المبحث الثاني: أسماء السورة، مقصدها، وموضوعاتها
١٣	الفصل الثاني: الدراسة التحليلية للسورة
١٤	المبحث الأول: الدراسة التحليلية للآية الأولى والثانية
١٥	المبحث الثاني: الدراسة التحليلية للآيات من ٣-٥
١٨	المبحث الثالث: الدراسة التحليلية للآيات من ٦-٨
٢١	المبحث الرابع: الدراسة التحليلية للآيات من ٩-١١
٢٥	الفصل الثالث: الدراسة الموضوعية: مظاهر العناية الربانية بالنبي ﷺ
٢٦	المبحث الأول: مظاهر العناية الربانية بالنبي محمد ﷺ في بداية نشأته وقبل البعثة
٢٧	المطلب الأول: الإرهاصات التي وقعت عند ميلاده ﷺ
٢٨	أولاً: إهلاك أصحاب الفيل:
٢٨	ثانياً: رؤيا آمنة بنت وهب عند ولادته ﷺ
٢٩	المطلب الثاني: حادثة شق الصدر
٢٩	المررة الأولى:
٢٩	المررة الثانية:
٢٩	المررة الثالثة:
٣٠	المبحث الثاني: مظاهر العناية الربانية في العهد المكي
٣٠	المطلب الأول: الرؤيا الصادقة وبدء نزول الوحي
٣١	المطلب الثاني: تأييد النبي ﷺ بالمعجزات الحسية
٣١	المطلب الثالث: الإسراء والمعراج
٣٢	المطلب الرابع: عناية الله عز وجل بنبيه ﷺ أثناء الهجرة
٣٢	١. في دار الندوة:
٣٣	٢. في الغار:
٣٤	المبحث الثالث: مظاهر العناية الربانية بالنبي محمد ﷺ في تفضيله بالعطايا والنعيم